المجلد :09/ العدد :04 / الشهر: جوان السنة: 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

جذور المقاولاتية في الفلسفة الأخلاقية الأرسطية

جلجال عبد القادر :طالب دكتوراه
جامعة عبد الحميد بن باديس شعبة الفلسفة. مستغانم
إشراف: ا.د. راجعي مصطفى
جامعة عبد الحميد بن باديس شعبة الفلسفة. مستغانم

تاريخ الارسال:13 ابريل 2017	تاريخ النشر:01 جوان 2018

الملخص:

تندرج هذه المقالة في محاولة للتفكير في ظاهرة المقاولاتية من زاوية نظر فلسفية، اعتبارا من أن تفكير هذه الظاهرة فلسفيا لا زال في بداياته، بالرغم من ضرورته، فالحقول المعرفية الكثيرة التي تقاربها، لم تتجاوز النظر إليها بوصفها قضية تقنية.

اختارت المقالة الاقتراب من المقاولاتية من منظور أكسيولوجي، أخلاقي تحديدا. ولذلك ركزت على المقاول لأنه قطب الرحى في المشروع المقاولاتي، ولا يمكن للأخير أن ينشأ وأن ينجح دون وجود مقاول يتحلى بخصائص أخلاقية تجعل منه شخصا استثنائيا بامتياز. ولذلك رصدت المقالة في قسمها الأول هذه الخصائص الأخلاقية التي تميز المقاول. وقد ركزت على ثلاث منها، هي، على التوالي: - المقاول حامل لرسالة – روح المخاطرة – الاشتغال على الذات.

اعتمدت المقالة على الفلسفة الأخلاقية لأرسطو لتقرأ أكسيولوجيا ظاهرة المقاولاتية. لذلك خصص الجزء الثاني من المقالة لعرض فلسفة أرسطو الأخلاقية، مسلطة الضوء على مظاهر هذه الفلسفة التي شكلت بحق قطيعة مع الفلسفة الأخلاقية المثالية لأستاذه أفلاطون، نظير ربط أرسطو للأخلاق بالسعادة الذاتية بطبيعتها والمرتبطة باللذة، في سياق هذه القطيعة دائما، يرقض أرسطو أن تكون الفضائل، وسيلة الإنسان في تحقيق السعادة، هبة إلهية أو معطى من من معطيات الطبع. إنها ،في نظره، صنيعة التكرار والدربة والمران الدؤوب الذي لا يتوقف مادام الإنسان حيا. كما يشترط أرسطو في هذه الفضائل أن تكون معقولة، فلا يأتيها الإنسان إلا بعد تدبر وتبصر متروين.

يشتغل القسم الأخير من المقالة بالكشف عن التقاطعات الموجودة بين الخصائص الأخلاقية للمقاول والفلسفة الأخلاقية لأرسطو بحيث تغدو الأخيرة تأسيسا نظريا للأولى وتغدو الأولى تحقيقا عمليا لما صاغته الأخيرة بصورة نظرية مجردة.

الكلمات المفتاحية: الاشتغال على الذات . روح المخاطرة . المقاول حامل لرسالة، السعادة مدار الأخلاق . نوعا الفضيلة . الاعتدال في الفضيلة . نوعا الفضيلة . صناعة الفضيلة . الطبيعة غير القبلية للفضيلة الطبيعة الإرادية للفضيلة . الطبيعة القصدية للفضيلة

المجلد :09/ العدد :04 / الشهر: جوان السنة: 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

تمهيد:

ينخرط هذا البحث في سياق محاولة لفهم ظاهرة المقاولاتية. لكنه يطمح إلى الحفر عميقا في جذورها الفلسفية. وما يجعل هذا البحث مطلوبا بصورة ملحة هو أن المقاولاتية، وإن باتت تحظى بالاهتمام من لدن العلوم الاجتماعية والإنسانية، فإن مقاربتها من منظورات فلسفية لازالت في بداياتها الأولى. فالتأسيس لهذه الظاهرة فلسفيا، سواء معرفيا أو أكسيولوجيا أو أنطولوجيا يمثل حقا مدخلا لممارسة فلسفية أصيلة تتميز بالجدة والراهنية. يتموقع هذا البحث في إطار الدراسة الأخلاقية لظاهرة المقاولاتية. فانشغاله ينحصر في محاولة تعرية الأساس الأخلاقي الذي يجعل وجود المقاولة ممكنا. وواضح أن البحث في الأساس الفلسفي الأخلاقي لظاهرة المقاولة يدفعنا، اضطرارا، لمعرفة المقاول أو رائد الأعمال وما يتميز به من سمات وخصائص أخلاقية نوعية. فالمقاولة لا يمكنها أن تنشأ إلا بوجود المقاول أو رائد الأعمال، هذا الشخص الاستثنائي الذي تتمحور حوله المقاولة. فمن بين أغراض هذا البحث- وهو ما سيمثل مطلبه الأول- بناء صورة للمقاول قريبة من حقيقته، وتبديد صور نمطية ما فتئت تلتصق به، نظير كونه شخصا لاهثا وراء الربح وحسب. لقد اختار البحث الفلسفة الأخلاقية الأرسطية بوصفها تأسيسا فلسفيا أخلاقيا يسوغ لفكرة أن المقاول يمثل بحق نموذج الأخلاقية بحسب القراءة التي يقترحها هذا البحث لفلسفة أرسطو الأخلاقية.

فمن هو المقاول؟ وبأي معنى يمكن النظر إلى فلسفة المعلم الأول بصفتها تأسيسا فلسفيا أخلاقيا للمقاولة؟

سيعكف البحث في شقه الأول على رصد السمات الأخلاقية للمقاول بينما سيعرض، في شقه الثاني، الفلسفة الأخلاقية عند أرسطو، ليخلص في النهاية إلى استنتاج يكشف عن عناصر في هذه الفلسفة تمثل الأساس الفلسفي العميق للأخلاق المقاولاتية، بحيث يغدو المقاول تحقيقا عمليا للأخلاقية كما تصورها أرسطوطاليس في فلسفته.

السمات الأخلاقية للمقاول:

المقاول حامل لرسالة:

يتميز المقاول، أولا، بأنه حامل لرسالة، فمن خلال انتباهه لحاجة ملحة لدى الناس يهتدي إلى فكرة فذة يترجمها إلى قيمة جديدة ملموسة تلبي تلك الحاجة.

ويصبح مدار المقاولة هو إنتاج هذه القيمة. ومن ثمة لا يصبح الربح مطلبا في ذاته، مع أنه في النهاية التحليل مشروع بل ومطلوب، من أجل تغطية كلفة الإنتاج وتوسيع المقاولة وتحسين ما تنتجه الأخيرة من قيمة. إن الهدف الأسمى للمقاول هو "إحداث فارق في العالم من حوله. والفارق لا يعني في هذا المقام المال أو السلطة أو المكانة الرفيعة. إن من بين المعاني التي ينطوي

المجلد :09/ العدد :04 / الشهر: جوان السنة: 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

عليها مفهوم "الفارق" جعل العالم مكانا أفضل أو تحسين جودة الحياة بطريقة ما أو مساعدة الأشياء الرائعة على الاستمرار والتحسن"[1]. وقد يعني أيضا تصحيحا لخطأ قائم.

يصلح "بنك غرامين" الذي أسسه أستاذ الإقتصاد البنغالي محمد يونس الحائز على جائزة نوبل للسلام سنة 2006 أن يكون مثالا نموذجيا للمقاولة الساعية إلى خلق فارق في العالم،والمستلهمة من فكرة فذة أوحت بها حاجة ملحاحة، وأفضت بمحمد يونس إلى تأسيس هذا البنك في منتصف سبعينيات القرن المنصرم، وأن ينسحب من التدريس من جامعة شيتاغونغ بدكة ليكرس منذ ذلك التاريخ كل حياته لإنجاح هذا المشروع المقاولاتي.

لقد أسس يونس مصرفه بعيدا كل البعد عن الأعراف والتقاليد والتصورات التي تحكم العمل المصرفي، فالبنوك التقليدية تقوم على مبدأ أنه كلما ازداد ما يملكه الشخص ازدادت فرصه في الحصول على قروض، أما "إذا كنت تملك القليل أو لا تملك شيئا فلن تحصل على شيء. ونتيجة لذلك ، فإن أكثر من نصف سكان المعمورة محرومون من الخدمات المالية للبنوك التقليدية، لأن هذه البنوك تعتمد على الضمانات الإضافية"[2]، و"بنك غرامين" لا يشترط هذه الضمانات لأن قروضه موجهة خصيصا للفقراء. فالبنك قد أنشأه صاحبه من أجل مساعدة الفقراء والمعدمين ومن لا يملكون هذه الضمانات أصلا. فالرسالة التي كرس لها يونس حياته هي محاربة الفقر ، "ففي مطلع سبعينات القرن العشرين، كانت بنغلاديش المستقلة حديثا حينها تعيش وضعا مزريا نتيجة الفياضانات والجفاف والرياح الموسمية وانتشار المجاعة. وقد تسبب ذلك في خلق حال من اليأس بين ملايين من السكان"[3]، فأصبح من غير الممكن لمحمد يونس "القيام بتدريس نظريات منمقة تتمحور حول الاقتصاد، والفقر المدقع يفتك بالناس"[4] ليس بعيدا عن قاعة المحاضرات.

هذا الواقع شديد السواد أوحى ليونس بفكرة تأسيس بنك للفقراء يقدم لهم قروضا من أجل تمويل مشاريعهم الاقتصادية الصغيرة. واليوم وبعد أزيد من ثلاثين سنة من تأسيسه، "يعمل "بنك غرامين" على امتداد مساحة بنغلاديش خدمة للفقراء في كل واحدة من قرى

---

[1] جاي كاوازاكي. "فن البداية". ترجمة: محمد عبد الله القويز. مكتبة جرير. الطبعة الأولى. سنة 2009. ص: 21.

[2] مجدي سعيد. "تجربة بنك الفقراء". الدار العربية ناشرون. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. سنة 2007. ص: 27.

[3] محمد يونس. "التأسيس لمشروعات ذات طابع اجتماعي. نحو نمط جديد من الرأسمالية يلبي الحاجات الإنسانية الأكثر إلحاحا". ترجمة: منذر محمود محمد. نشر وتوزيع العبيكان. الرياض. المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى. سنة 2018. ص: 10.

[4] المرجع السابق. ص: 10.

المجلد :09/ العدد :04 / الشهر: جوان السنة: 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

بنغلاديش ويقدم قروضا لثمانية ملايين مستفيد"[1] . وقد أثبتت التجربة "أن نسبة إيفاء الديون فعالة جدا، حيث تبلغ قرابة ال 98% بالرغم من حقيقة أن بنك غرامين يركز على الفئات الأشد قفرا في المجتمع، أي أولئك الذين مازالت البنوك التقليدية تنظر إليهم باعتبارهم غير جديرين بالإقراض"[2]. ولعل روح الالتزام التي يبديها الفقراء المقترضون تجاه ما عليهم من مستحقات مالية تمثل أحد الأسباب التي جعلت هذا البنك، بالرغم من طبيعته غير النمطية، يحافظ على استمراره، بل ويوسع من نشاطاته وينوع فيها.

روح المخاطرة:

تفضي محاولة المقاول خلق قيم جديدة إلى سمة أخرى يتميز بها وهي روح المخاطرة، بل إن "المقاولة تتمحور بالأساس حول المخاطرة..فمن أجل تطبيق المقاول لفكرته ووضعها محل التنفيذ، يبذل الكثير من الجهد والوقت ورأس المال وهو يعلم أن كل ما يقوم به غير مضمون النتائج"[3] وإمكانية الفشل واردة جدا. فمن المجازفة، مثلا، أن ينشئ شخص مصرفا من ماله الخاص أو بمساعدة بنوك أخرى يقدم لها ضمانات، وأن يقرض أناسا فقراء لا عهد لهم بالخدمات البنكية لينشئوا مشاريع اقتصادية خاصة بهم، على غرار ما فعل محمد يونس. لكن وبالرغم من أن المقاول يراهن على مبادرات قد يرى فيها غيره أنها مستحيلة وأن الخوض فيها تهور وضرب من الجنون إلا أن هذه المبادرات يسبقها تفكير مترو وقراءة متدبرة للواقع الذي يتحرك فيه المقاول، فالمخاطرة بهذا المعنى هي مهارة وليست مجرد مجازفة متهورة غير محسوبة العواقب.

تتطلب روح المغامرة لدى المقاول استعدادا نفسيا وذهنيا عاليا، فلما تكون الفرصة معلومة يقوم المقاول بتقييم الأمر والاختيار بين استغلالها أو عدم استغلالها الأمر الذي يقتضي قدرة على الالتزام وأخذ القرار. إن نشاطا كهذا محفوفا بالمخاطر لا يمارسه إلا أشخاص غير عاديين يتمتعون بسمات نفسية نوعية، فالمقاولون يشتركون في كونهم مستقلين، وهذه الاستقلالية يعبر عنها سعيهم إلى السيطرة على مصيرهم من خلال تجسيد أفكارهم الأصيلة. ولأنهم يتحركون في بيئة متغيرة، متحركة ومفتوحة على كل الاحتمالات يميل المقاولون إلى المرونة والتفاؤل والتساهل مع الغموض واللايقين.

---

[1] المرجع السابق. ص: 12.

[2] المرجع السابق. ص : 13

[3] عامر خربوطلي. "ريادة الأعمال وإدارة المشروعات الصغيرة والمتوسطة". منشورات الجامعة الإفتراضية السورية. الجمهورية العربية السورية. الطبعة الأولى. سنة 2018. ص: 06.

المجلد :09/ العدد :04 / الشهر: جوان السنة: 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الاشتغال على الذات:

يولي المقاولون أهمية بالغة للاشتغال على ذواتهم من أجل تطويرها. فهم مثابرون، يواجهون المخاطر والتحديات بصبر، ويدركون قيمة التدريب والتكوين. بل إن هذا التكوين يبدأ منذ الطفولة، مما يعني أن للعائلة دورا مهما في هذا الشأن. فعديد المقاولين ينتسبون إلى عائلات لها تجربة مع الممارسة المقاولاتية. فالعائلة التي خبرت هذه الممارسة تقدم الدعم المادي للمقاول وتوفر له التربية المبكرة على النموذج من خلال غرس المهارات والاستعدادات على المقاولاتية. ومن مظاهر هذا الاشتغال على الذات تحلي المقاول بالصبر، "فعمليا، عندما يحاول المقاول خلق أو ابتكار شيء جديد في هذا العالم ، فإن سوقه لا يكون معروفا"[1] ، ولذلك يدرك المقاولون أن ما ينتجونه من قيم يحتاج كثيرا من الوقت والجهد حتى تحتل مشاريعهم المقاولاتية حيزا من السوق، ويصبح ما ينتجونه من القيم مطلوبا من قبل المستهلكين . فمع ظهور الأنترنت مثلا "لم يكن هناك من يتكهن بمدى نجاح سوق أعمال قائمة على الأنترنت..ومع ذلك هناك من المقاولين من رأى في هذه التكنولوجيا فرصا وأسواقا"[2] تعد بالكثير من النجاح.

يقودنا التحليل السابق إلى نتيجة مفادها أن المقاول، على المستوى الأخلاقي ، شخص استثنائي بكل المقاييس، فلا يمكن لشخص أن يشتغل على ذاته باستمرار من أجل تطويرها وأن يبلغ مبلغ الريادة وأن يعود نفسه على ركوب المخاطر وإطلاق مبادرات كبيرة لولا أنه يتصور نفسه، كما المصلحين الدينيين الكبار، رجلا ملهما حاملا لرسالة تعبر فعلا عن استقلاليته وفرادته، ويحقق سعادته في إضافة قيمة جديدة تدفع مجتمعه نحو مزيد التقدم.

الفلسفة الأخلاقية الأرسطية:

السعادة مدار الأخلاق في الفلسفة الأرسطية:

يقرر أرسطو أن العودة إلى الواقع كفيل لوحده بأن يدلنا على ما يطلبه الناس من خلال ما يؤتونه من أفعال، ف" المبدأ الحق في كل الأشياء إنما هو الواقع. وإذا كان الواقع نفسه معروفا دائما بالوضوح الكافي، كاد لا يكون ثمة حاجة للصعود إلى علته"[3]، وهذا الواقع يؤكد حقيقة وحيدة مفادها أن "كل معرفة وكل تصميم يعزمه عقلنا يقصد به بالضرورة ...الخير الأعلى الذي يمكن أن نتتبعه في جميع أعمال حياتنا. وإن اللفظ الذي يدل عليه مقبول تقريبا

[1] عامر خربوطلي. المرجع السابق. ص: 06.

[2] المرجع السابق. ص: 06.

[3] أرسطو . "علم الأخلاق إلى نيقوماخوس". تر: أحمد لطفي السيد. مطبعة دار الكتب المصرية. سنة 1924. ص: 178.

المجلد :09/ العدد :04 / الشهر: جوان السنة: 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

عند الناس جميعا. فالعامي كالناس المستنيرين يسمي هذا الخير الأعلى "[1]، الذي يطلبه الناس جميعا، السعادة.

ينعت أرسطو السعادة بالاستقلال لكنه لا يقصد من هذا النعت الخير الأعلى الذي تصوره أفلاطون. إن ما يعنيه بالاستقلال "هو هذا الذي مأخوذا على إنفراده، يكفي لصيرورة الحياة مرغوبا فيها، ويجعل أن لا حاجة بها إلى أي شيء كان"[2]، فالسعادة هي خير أعلى لا لأنها متعالية على الحياة العملية وموجودة في عالم مفارق كما ترى المثالية الأفلاطونية بل فقط لأنها الغاية من كل فعل يقصد إليه المرء، فهو يطلبها لذاتها ويتخذ من كل الخيرات التي هي أدنى مرتبة منها (أي كل خير لا يطلب لأجل ذاته بل من أجل تحقيق خيرات أعلى منه مرتبة) وسيلة لتحقيقها.

إن الغايات التي يسعى الناس إلى تحقيقها في حياتهم العملية، في اعتقاد أرسطو، "متعددة على ما يظهر، وأننا نستطيع أن نبغي بعضها من أجل الأخرى...فمن البديهي أن كل هذه الغايات بلا تمييز ليست كاملة ولانهائية بأعيانها. وإذا وجد عدة أشياء من هذا القبيل فإن أشد الأشياء نهائية من بينها هو الخير"[3] الأعلى أو السعادة كما يسميه أرسطو، وهي بهذا المعنى وحده يمكن وصفها بالاستقلال كما أسلفنا.

إن ربط موضوع الأخلاق بالسعادة عند أرسطو جعل منها أمرا ذاتيا متعلقا بالأفراد، " فلم يعد الأمر بصدد الفضيلة والواجب الذي قرر سقراط وأفلاطون أنهما الغرض الأسمى للحياة الإنسانية"[4]، يطلبهما الإنسان حتى وإن كان في ذلك مجلبة للتعاسة والألم والمضرة. فالإنسان لا يكون سعيدا في رأي أرسطو إلا إذا حقق من خلال أفعاله ما يراه لذة، ف"الناس جميعا، حسب حوادث الحياة الواقعية، يبحثون عن الخير والسعادة وكل ما يجعل الحياة لذيذة وكل ما يجعلنا راضين"[5] ويجعل الحياة مرغوبا فيها.

الفضيلة تمام الفعل:

يقرر أرسطو، في سياق بحثه عن الحياة السعيدة، أن لكل موجود عمل ينجزه وغاية يحققها بعمله، "وعندما يقول قائل أن هذا هو عمل شيء ما، فإن ذلك يعني ما يستطيع هذا الشيء وحده القيام به، أو ما يستطيع القيام به أفضل من أي شيء

[1] المرجع السابق. ص: 175.
[2] أرسطو. "علم الأخلاق إلى نيقوماخوس". المرجع السابق. ص: 192.
[3] المرجع السابق. ص: 190.
[4] من مقدمة المترجم لكتاب أرسطو " علم الأخلاق إلى نيقوماخوس". ص: 74.
[5] Pierre Kropotkine. "L 'Ethique". Les éditions invisibles. 2009.p: 120.

المجلد :09/ العدد :04 / الشهر: جوان السنة: 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

آخر"[1]، وأداء الموجود لعمله على نحو تام وفعال هو فضيلته، "وعلى هذا ففضيلة العين كون العين طيبة وأنها تؤدي وظيفتها كما ينبغي. لأن لفضيلة العين الفضل في أن الإنسان يحسن النظر"[2]. ويقال الأمر ذاته أيضا "عن أي كائن حي الذي يكون عمله هو أن يحيى، فنقول أنه موجود حسن حين يقوم بعمله، وهو الحياة، على نحو فعال"[3]. وعلى غرار الكائنات الحية التي فضيلتها هي أن تحيى حياة تامة وفعالة " تكون الفضيلة في الإنسان هي تلك الكيفية الأخلاقية التي تصيره رجلا صالحا، رجل خير، والفضل لها أنه يعرف أن يؤدي العمل الخاص به"[4] الذي تتحقق بواسطته سعادته المنشودة.

نوعا الفضيلة:

يقسم أرسطو النفس إلى قسمين متميزين "هما الجزء الموصوف بالعقل والجزء الذي مع كونه ليس حائزا على العقل على المعنى الخاص فإنه قابل لفهمه ومطيع له"[5]، إنه الجزء الذي يمثله الجانب الانفعالي للإنسان المكون من أهوائه وعواطفه والذي يمثل الفعل مظهره الخارجي. وتبعا لجزئي النفس هاذين يميز أرسطو في الفضائل، وسيلة الإنسان في بلوغ حياة أخلاقية سعيدة، نوعين، فضائل عقلية مكتفية بذاتها لأنها هي العقل ذاته، وفضائل أخلاقية ليست مكتفية بذاتها لأنها تحتاج للعقل كي يوجهها، ف"التبصر يظهر أنه هو والعقل شيء واحد وليس هو إلا جهة من جهاته، في حين أن الشجاعة لا يمكن أن تقوم بذاتها وليست شيئا بدون ملكة العقل السامية التي تهديها"[6] إلى الأفعال الفاضلة الجالبة للسعادة.

الاعتدال مطلب الفضيلة:

يستعين، أرسطو من أجل تحديد ماهية الفضائل الأخلاقية بصورة هندسية متمثلة في الوسط، وهو "النقطة التي توجد على بعد سواء من كلا الطرفين، والتي هي واحدة وبعينها في كل الأحوال"[7]، فالفضيلة بالنسبة لأرسطو هي أيضا وسط بين متناقضين، وإذا أردنا أن نعبر عن ذلك بلغة أرسطو الفلسفية قلنا أن الوسط في المجال العملي "هو هذا الذي لا

---

[1] ألفرد إدوارد تايلور. "أرسطو". ترجمة: عزت قرني. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة: 1992. ص: 110.

[2] المرجع السابق. ص: 243.

[3] المرجع السابق. ص: 110.

[4] أرسطو. "علم الأخلاق إلى نيقوماخوس". المرجع السابق. ص: 244.

[5] من مقدمة المترجم لكتاب أرسطو " علم الأخلاق إلى نيقوماخوس". ص: 83.

[6] من مقدمة المترجم لكتاب أرسطو " علم الأخلاق إلى نيقوماخوس". ص: 84.

[7] أرسطو. "علم الأخلاق إلى نيقوماخوس". المرجع السابق. ص: 244.

المجلد :09/ العدد :04 / الشهر: جوان السنة: 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يعاب لا بالإفراط ولا بالتفريط"[1]، وعليه يتعين على "كل إنسان عالم وعاقل أن يجهد نفسه في اجتناب الإفراطات من كل نوع سواء كانت بالأكثر أو بالأقل، ولا يطلب إلا الوسط القيم ويفضله على الطرفين"[2]، فالإفراط في الشيء الذي يفضي إليه الفعل مثله مثل التفريط فيه مذموم "والوسط وحده هو الحقيق بالثناء، لأنه وحده هو القدر المضبوط القويم"[3]، والالتزام بهذا الوسط وتجنب النقائض في مجال العمل الإنساني هما شرطا الحياة التامة السعيدة المنوط بالإنسان أن يحياها.

الفضيلة ليست معطى قبلي:

يستبعد أرسطو، في سياق تحليله لطبيعة الفضيلة، أن تكون الأخيرة حاصلة فينا بالطبع، "لأن أشياء الطبع لا يمكن أن تصير... أغيار ما هي كائنة. مثال ذلك الحجر الذي هو بالطبع يهوي إلى أسفل لا يمكن أن يأخذ عادة الصعود"[4]، بينما الأمر يختلف مع الإنسان، "فالسعادة هي بوجه ما ممكنة المنال لنا جميعا، لأن من الممكن لأي إنسان أن يصل إلى السعادة بدراسة ما وبعنايات ملائمة، إلا أن تكون الطبيعة قد صيرته تماما غير أهل لأي فضيلة"[5]. وكما أن إمكانية أن يصير الإنسان فاضلا لو أراد ذلك واجتهد فيه تنفي فرضية أن الفضيلة تعطى للإنسان بالولادة مع طبعه، هي تنفي أيضا فكرة أفلاطونية مفادها أن الفضيلة هي "بالأولى نتيجة لمنحة إلهية ما...وأنها نعمة تأتينا من لدن حسب اعتقاد أفلاطون. الآلهة"[6] تمنح فقط لقلة من الأفراد المصطفين الملهمين الأفذاذ وهم الفلاسفة.

صناعة الفضيلة:

يضع أرسطو للفضائل تحديدا إيجابيا- بعد أن حددها تحديدا سلبيا فند فيه فكرة كونها معطى من معطيات الطبع وفكرة كونها هبة إلهية، - وهي أنها، أي الفضائل، عادات نكتسبها بالممارسة، "فالحال فيها كالحال في جميع الفنون الأخرى، لأنه في الأشياء التي لا يمكن فعلها إلا بعد تعلمها نحن لا نتعلمها إلا بممارستها. وحينئذ يصير الإنسان معمارا بأن يبني، ويصير موسيقيا بأن يمارس الموسيقى، كذلك يصير المرء عادلا بإقامة العدل وحكيما بمزاولة الحكمة

[1] المرجع السابق. ص: 244.
[2] المرجع السابق. ص: 246.
[3] المرجع السابق. ص: 247.
[4] المرجع السابق. ص: 226.
[5] المرجع السابق. ص: 205.
[6] أرسطو. "علم الأخلاق إلى نيقوماخوس". المرجع السابق. ص: 204.

المجلد :09/ العدد :04 / الشهر: جوان السنة: 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وشجاعا بإظهار الشجاعة"[1]، والأمر نفسه مع الفضائل جميعها فهي لا تتكشف ولا تعرف إلا من خلال ما نأتيه من أفعال.

إن الفضائل، على ذلك، ليست أمرا نظريا متروكا للتأمل بل إنها محايثة لأفعالنا وتظهر من خلالها وتتعزز بها، "فبسلوكنا في الظروف الخطرة واكتسابنا فيها عادات الخوف أو الثبات يصير بعضنا شجعانا وبعضنا جبناء...وبالاختصار فإن الملكات لا تأتي إلا من التكرار الكثير للأفعال عينها"[2] وعلى مدار حياة الإنسان كلها. والتعود على الفضيلة ليس أمرا سهلا البتة لأنه يتطلب جهدا متواصلا وتجنيدا لكل قوى الإنسان الذهنية والبدنية من أجل تدريب الذات على إتيان الأفعال الفاضلة.

يستنتج أرسطو من كون الفضيلة عادة أنه كلما أبكرنا في تعليمها للإنسان كان أقدر على تمثلها في أفعاله مستقبلا ، "فليس إذن بالشيء قليل الأهمية أن نتخذ منذ الطفولة وباكرا بقدر الممكن العادات الفلانية أو الفلانية. إنها على ضد ذلك كبيرة الأهمية جدا، وبعبارة أخرى هي كل شيء"[3]. ولا يرى أرسطو أن الطفل الصغير محتاج إلى فهم فضيلة التزام قاعدة الوسط أكثر من حاجته إلى التدرب على تمثلها في أفعاله. وهذا ما يمكن أن يفسر تمييز أرسطو الذي أشرنا إليه سابقا بين فضائل عقلية وأخرى أخلاقية، وأن الفضائل العقلية "تكاد تنتج دائما عن تعليم يسند أصلها ونموها، ومن هنا يجيء أن بها حاجة إلى التجربة والزمان بينما تتولد الفضائل الأخلاقية من العادة"[4] أساسا، لكن وجب الانتباه إلى أن الفضائل الأخلاقية وإن كانت تظهر قبل الفضائل العقلية تبقى الأولى متعلقة بالثانية ومشروطة بها.

الطبيعة الإرادية للفضيلة:

يشدد أرسطو في فلسفته الأخلاقية على عنصر الإرادة والاختيار، "وعلى هذا فإنه لا يكفي أن يتبع المرء قاعدة الوسط إتباعا خارجيا في سلوكه الظاهر، إنما ينبغي أن تكون إرادته الشخصية متبعة لها ومنتظمة على أساسها. إن الفضيلة أمر داخلي وليست فقط ذات مظهر خارجي"[5]. وما يفسر، عند أرسطو، أن الأفعال الفاضلة تصدر عن دخيلة الإنسان هو أنه يطلبها عن حب، وهي لذلك مبعث سرور وشعور بالجمال واللذة له، "فأن يكون الإنسان مسرورا فتلك ظاهرة تتعلق بالروح على جهة الاختصاص، وأن الشيء يكون ذا محاسن في نظرنا حينما يمكن

[1] المرجع السابق. ص: 227.
[2] المرجع السابق. ص: 228.
[3] المرجع السابق. ص: 228.
[4] رسطو. "علم الأخلاق إلى نيقوماخوس". المرجع السابق. ص: 226.
[5] ألفرد إدوارد تايلور. "أرسطو". المرجع السابق. ص: 115.

المجلد :09/ العدد :04 / الشهر: جوان السنة: 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أن يقال عليه: إننا نحبه، فالحصان يسر من يحب الخيل والمسرح يسر الذي يحب المسارح، كذلك الأشياء العادلة تسر الذي يحب العدل، وعى وجه أعم، الأفعال الفاضلة تسر من يحب الفضيلة"[1] فيقبل عليها عن رضا لما فيها من لذة وسرور وجمال.

إن الأشخاص الفاضلين، بهذا المعنى، يطلبون الأفعال الفاضلة لذاتها وحسب، "فحياتهم لا حاجة بها أصلا إلى اللذة تأتي فتنضم إليها كنوع من الملحق أو التتمة، بل إن الأفعال الفاضلة تحمل في نفسها اللذة...فالذي لا يجد اللذة في الأفعال الفاضلة ليس في الحق فاضلا"[2]. وإذا كان ذلك صحيحا فإنه لن تغدو "الأعمال المطابقة للفضيلة، التي هي في ذاتها اللذات الحقة للإنسان، مقبولة فقط بل حسنة وجميلة أيضا"[3]. وحسب ذلك، سيحقق الإنسان السعادة، التي هي غاية ما نأتيه من أفعالنا الفاضلة، في صورتها التامة حيث يجتمع فيها الحب والجمال واللذة.

الطبيعة القصدية للفضيلة:

يؤكد أرسطو أنه وإن كان الأصل في الفضائل هو الإرادة، فإن الأفعال الفاضلة لا تمثل إلا جزءا من مجموع الأفعال التي تمليها الإرادة، ولا يكون الفعل، حسب أرسطو، أخلاقيا وفاضلا إلا إذا كان اختيارا قصديا، والقصد عند أرسطو "ليس مماثلا للإرادة التي هي تمتد إلى أبعد منه. فالأطفال...لهم نصيب من الإرادة، ولكن ليس لهم اختيار ولا قصد ثابتان عن دليل"[4]. وعلى ذلك يرى أرسطو "أن الاختيار أو القصد الذي يختار لا يمكن أن يكون للكائنات غير ذوات العقل منه نصيب، في حين أن هذه الكائنات هي قابلة أن يكون لها رغبة وشهوة"[5]. والواضح من هذا التحليل أن أرسطو يخلط بين الإرادة والرغبة ولا يميز بينهما.

يمتاز القصد عن أفعال الإرادة الأخرى في أنه يقوم على التدبر، فهو "لا يتجه البتة إلى الأشياء المستحيلة، ولو قال أحد أنه يؤثر أو يختار هذه الأشياء بقصد لكان في ظاهر الأمر مجنونا. على ضد ذلك الإرادة يمكن أن تتعلق حتى بالأشياء المستحيلة"[6] كأن يريد الإنسان الخلود مثلا.

---

[1] أرسطو. "علم الأخلاق إلى نيقوماخوس". المرجع السابق. ص: 201.
[2] المرجع السابق. ص: 201.
[3] أرسطو. "علم الأخلاق إلى نيقوماخوس". المرجع السابق. ص: 202.
[4] المرجع السابق. ص: 275.
[5] المرجع السابق. ص: 276.
[6] المرجع السابق. ص: 276.

المجلد :09/ العدد :04 / الشهر: جوان السنة: 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يضيف أرسطو تمييزا آخر للقصد أو الاختيار القصدي عن الإرادة أو الرغبة، فإذا كانت الأخيرة "تتعلق على الأخص بالغرض الذي تسعى إليه فإن القصد أو الاختيار المدبر يقدر على الأخص الوسائل التي تؤدي إلى ذلك الغرض، مثلا نحن نرغب في الصحة ونريدها ولكننا نختار بقصد مدبر الوسائل التي يمكن أن تعطينا إياها"[1]. فحين تساورنا الرغبة في إدراك هدف ما "نبدأ في النظر في وسائل تحقيقها ونستمر في تحليلنا حتى نجد أن سلسلة الشروط المطلوبة باتت تسمح بالقيام بفعل ما يكون بمقدورنا القيام به في نفس تلك اللحظة"[2] وضمن ظروف تخصنا وحدنا.

يرى أرسطو أنه إذا تعين الغرض وأدرك الإنسان بتدبره أنه محال عدل عنه وإذا رآه ممكنا سعى إلى تحقيقه، "وإنا لنعد من بين الأشياء الممكنة كل الأشياء التي يمكننا فعلها بأنفسنا وحدنا أو بواسطة أصحابنا، لأن ما نعمله بواسطتهم هو بوجه ما من عملنا ما دام مبدأ فعلهم إنما هو منا...فما يبحث عنه إنما هو تارة الوسيلة التي تتخذ وتارة الطريقة التي يلزم إتباعها وتارة الشخص الذي يجب توسيطه"[3]. واستنادا إلى هذا التحليل يصل أرسطو إلى تحديد للقصد المدبر أو الاختيار القصدي مؤداه "أنه الرغبة المدبرة التي جرت عليها المعادلة في الأشياء التي تتعلق بنا وحدنا، لأننا نحكم بعد أن عادلنا ثم نرغب في الشيء على مقتضى معادلتنا وتصميمنا الاختياري"[4]. والواضح من من هذا التعريف أن الفعل الأخلاقي هو اختيار شخصي عقلاني يختلف باختلاف الأشخاص.

استنتاج:

يبدأ التأسيس الأرسطي للأخلاق المقاولاتية بتحويله البحث الأخلاقي من مجرد تأمل في مصادر متعالية على الإنسان ومستقلة عن واقعه يستمد منها خيريته (كما هو الحال في الأخلاق الأفلاطونية أو أخلاق الواجب التي صاغها كانط لاحقا) إلى الإنسان الفعلي والمنغمس في الواقع. ولأن غاية ما ينشده هذا الإنسان في حياته هو السعادة ستكون الأخيرة موضوع الأخلاق بلا منازع، وسيصير الشخص فاضلا بمقدار ما يناله من السعادة المتأتية مما يصدره من أفعال. وتتحقق سعادة المقاول، تمشيا مع هذا التصور للخير، في مشاريعه المقاولاتية التي يكرس لها حياته كلها.

---

[1] أرسطو. "علم الأخلاق إلى نيقوماخوس". المرجع السابق. ص: 277.

[2] ألفرد إدوارد تايلور. "أرسطو". المرجع السابق. ص: 119.

[3] المرجع السابق. ص: 283.

[4] المرجع السابق. ص: 284.

المجلد :09/ العدد :04 / الشهر: جوان السنة: 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

لقد ساق ربط أرسطو للأخلاق بالسعادة، ومن ثم بالعمل، إلى قيمة أخلاقية أساسية تؤسس أخلاقيا للمقاولاتية، وهي الإقرار بالحرية الفردية التي تتجلى في القصد إلى اختيار ما يراه الشخص فعلا فاضلا، محققا لسعادته. والقصد يتضمن التفكير المتأني والتدبر والتبصر في مدى واقعية الفعل وفيما إذا كانت الوسائل المتاحة للشخص قادرة على مساعدته في إنجازه. وبهذا المعنى يمكن أن نفهم ما تنطوي عليه المخاطرة التي يقبل عليها المقاول، من خلال مشروع غير مضمون النتائج، من معقولية. فقدرة المقاول على قراءة ما يقدمه السوق من علامات ومعرفته بإمكاناته البشرية والتنظيمية والمالية يسوغ الإقبال على مثل هذه المخاطرة.

يكشف هذا التأسيس الأخلاقي للمقاولاتية عن نفسه من خلال فكرة أن الحياة وفق الفضيلة ليست هبة تعطى للإنسان بصورة قبلية مع طبعه. إن

الإنسان، حسب أرسطو،لا يولد خيرا أو شريرا بل يصير كذلك. فالفضائل، أي وسيلة الإنسان في تحقيق السعادة هي عادات لا يمكن أن يكتسبها إلا بالتكرار وبالمثابرة وبالدربة وببذل جهد متواصل لا ينقطع في اكتسابها. فأن تكون شجاعا مثلا يتطلب منك الأمر أن تتعود في ظروف مختلفة ومهما كانت المخاطر إتيان أفعال شجاعة. فأن يكون الإنسان أخلاقيا في حياته ينبغي أن يشتغل على ذاته بصورة متواصلة. والاشتغال على الذات هو محور الظاهرة المقاولاتية. فالمقاول الناجح هو من يتحلى بالصبر ويدرك أهمية المثابرة وبذل الجهد والاستفادة من الأخطاء والتجارب الفاشلة.

مصادر ومراجع البحث:

مصادر البحث:

01- أرسطو. "علم الأخلاق إلى نيقوماخوس". تر: أحمد لطفي السيد. مطبعة دار الكتب المصرية. سنة 1924 .

02- يونس محمد. "التأسيس لمشروعات ذات طابع اجتماعي. نحو نمط جديد من الرأسمالية يلبي الحاجات الإنسانية الأكثر إلحاحا". ترجمة: منذر محمود محمد. نشر وتوزيع العبيكان. الرياض. المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى. سنة 2018.

مراجع البحث:

03 - تايلور ألفرد إدوارد. "أرسطو". ترجمة: عزت قرني. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة: 1992.

04- خربوطلي عامر. "ريادة الأعمال وإدارة المشروعات الصغيرة والمتوسطة". منشورات الجامعة الإفتراضية السورية. الجمهورية العربية السورية. الطبعة الأولى. سنة 2018.

المجلد :09/ العدد :04 / الشهر: جوان السنة: 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

05- سعيد مجدي. "تجربة بنك الفقراء". الدار العربية ناشرون. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. سنة 2007

06- كاوازاكي جاي. "فن البداية". ترجمة: محمد عبد الله القويز. مكتبة جرير. الطبعة الأولى. سنة 2009.

07- Pierre Kropotkine. "L 'Ethique". Les éditions invisibles. 2009.p: 120.